

اختلاف أسلوب القرآن المكي والمدني

التاريخ : 24-08-2022 13:31:48

المصدر : مركز أصول

المؤلف : باحثو مركز أصول

نص السؤال

اختلاف أسلوب القرآن المكي والمدني

خاتمة الجواب

إن هذا التقرير ليس صحيحًا من جهة، ولا هو لازمًا لهذه النتيجة لو صحَّ من جهةٍ أخرى

فتغيَّر أسلوب القرآن المدني عن القرآن المكي، يُمكنُ حملُه على محاملٍ كثيرةٍ حسنةٍ عند غير المتحامل؛ ومع هذا فإن نسبة التغيُّر

المذكورة مسألةً نسبيَّةً لا كليَّةً؛ فليست بمؤثِّرةٍ

ونذكرُ هنا بعضَ النقاطِ التي تجلِّي ذلك فيما يلي:

أولًا: أسلوبًا اللين والشدة موجودان في السور المكيَّة والمدنيَّة:

ومن الشواهد التي نسوقها لإثبات تنوع القرآن، بقسميه المكي والمدني، بين اللين والشدة؛ رعايةً لحال المخاطبين -: ما يلي:

١- نجدُ الشدة في القرآن المدني؛ كما في

قوله تعالى:

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ * فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ

أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ }

[البقرة: 278 - 279]

وقوله تعالى:

{فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَئِن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ }

2- كما نجدُ اللَّيْنَ فِي الْقِسْمِ الْمَكِّيِّ مِنَ الْقُرْآنِ؛

كما فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ:

{وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ * لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَخَفَضْنَا جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ}

[الحجر: 87- 88]

وقوله تعالى:

{قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَفُورُ الرَّحِيمُ}

[الزمر: 53].

وغير ذلك من الآيات التي تُثَبِّتُ صِدْقَ مَا نَقُولُ بِهِ، والذي يخالف تمامًا ما جاء في السؤال؛ من اقتصارِ القسمِ المكيِّ على الشدة، واقتصارِ

القسمِ المدنيِّ على اللَّيْنِ □

فَمَنْ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ بِتَأْمُلٍ، يَجِدُ أَنَّ الْقُرْآنَ كُلَّهُ قَامَ عَلَى رِعَايَةِ حَالِ الْمُخَاطَبِينَ:

فِتَارَةٌ: يَخَاطِبُهُمُ بِالترغيبِ □

وِتَارَةٌ: يَخَاطِبُهُمُ بِالترهيبِ □

تَبَعًا لِمَا يَقْتَضِيهِ حَالُ الْمُخَاطَبِينَ؛ سِوَاءَ مِنْهُمْ مَكِّيُّهُمْ وَمَدَنِيُّهُمْ؛ بَدِيلِ أَنْكَ تَجِدُ بَيْنَ ثِنَايَا السُّورِ الْمَكِّيَّةِ وَالْمَدَنِيَّةِ مَا هُوَ وَعْدٌ وَوَعِيدٌ،

وَتَسَامُحٌ وَتَشْدِيدٌ، وَتَرْغِيبٌ وَتَرْهيبٌ؛ كَمَا سَبَقَ لَكَ فِي الْأَمْثَلَةِ، وَالشَّوَاهِدُ عَلَىٰ غَيْرِهَا كَثِيرَةٌ □

وَإِذَا لُوْحِظَ أَنَّ أَهْلَ مَكَّةَ كَثُرَ خَطَائُهُمُ بِالشَّدَّةِ وَالْعَنَفِ، فَذَلِكَ لِمَا مَرَدُوا عَلَيْهِ مِنْ أَدَى الرَّسُولِ ^ وَأَصْحَابِهِ، وَالْكِيدِ لَهُمْ، حَتَّى أَخْرَجُوهُمْ مِنْ

أوطانِهِمْ، وَلَمْ يَكْتَفُوا بِذَلِكَ، بَلْ أَرْسَلُوا إِلَيْهِمُ الْأَذَى فِي مُهَاجِرِهِمْ □

وَكَانَ الْقُرْآنُ فِي حَفَلَتِهِ عَلَيْهِمْ وَعَلَى أَمْثَالِهِمْ بِالْقَوْلِ بَعِيدًا عَنْ كُلِّ مَعَانِي السَّبَابِ وَالْإِقْدَاعِ، مُتَذَرِّعًا بِالْحِكْمَةِ وَالْأَدَبِ الْكَامِلِ فِي الْإِرْشَادِ

وَالْإِقْنَاعِ، حَاقًّا عَلَى الصَّبْرِ وَالْعَفْوِ وَالْإِحْسَانِ؛ حَتَّى إِنْ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَيَخَاطِبُ رَسُولَهُ ^ فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ الْمَكِّيَّةِ بِقَوْلِهِ:

{وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأَوْدُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبِيِّ الْمُرْسَلِينَ * وَإِنْ كَانَ

كَبَّرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنْ اشْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِي نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيهِمْ بَأْيَةٌ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَىٰ فَلَا تَكُونَنَّ

مِنَ الْجَاهِلِينَ * إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ}

[الأنعام: 34- 36].

عَلَى أَنَّا نَلَاحِظُ فِي آفَاقِ الْآيَاتِ وَالسُّورِ الْمَكِّيَّةِ ظَاهِرَةً بَاهِرَةً: وَهِيَ أَنَّ هَذِهِ الْآيَاتِ وَالسُّورَ خَلَّتْ حُلُوقًا تَامًّا مِنْ تَشْرِيعِ الْقِتَالِ وَالْجِهَادِ

وَالْمَخَاشِنَةِ؛ كَمَا خَلَّتْ أَيَّامُهُ فِي مَكَّةَ عَلَى طَوْلِهَا مِنْ مَقَاتِلَةِ الْقَوْمِ بِمِثْلِ مَا يَأْتُونَ مِنَ التَّنْكِيلِ وَالْمِصَاوَلَةِ، فَلَمْ يُسْمَعْ لِلْمُسْلِمِينَ فِيهَا صَلَافَةٌ

لِسَيْفٍ، وَلَا فَعْقَعَةٌ لِسِلَاحٍ، وَلَا رَحْفٌ عَلَى عَدُوٍّ، إِنَّمَا هُوَ الصَّبْرُ وَالْعَفْوُ وَالْمَجَامَلَةُ وَالْمَحَاسَنَةُ، بِالرَّغْمِ مِنْ إِبْغَالِ الْأَعْدَاءِ فِي أَذَاهُمْ، وَلَجَاجِهِمْ

فِي عُتُوِّهِمْ وَأَذَاهُمْ؛ سَبًّا، وَطَعْنًا، وَقِتْلًا، وَنَهَبًا، وَمَقَاطَعَةً، وَمَهَاتَرَةً، وَمِصَاوَلَةً، وَمَكَابِرَةً □

ثَانِيًا: أَنَّ الْكَلَامَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ بِلَاغَةِ الْقُرْآنِ، أَوْ أَسْلُوبِهِ، أَوْ تَغَايِيرِ أَسَالِيْبِهِ، أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يِرَادُ بِهِ إِسْقَاطُ الْقُرْآنِ وَنَسْبَتُهُ إِلَى بَشَرٍ - لَا

يُمْكِنُ أَنْ يَفُوتَ كَقَمَارِ الْعَرَبِ، وَكَقَمَارِ قُرَيْشٍ خُصُوصًا - خَاصَّةً أَنَّهُمْ كَانُوا حَرِيصِينَ عَلَى إِيجَادِ شَيْءٍ يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ - خَاصَّةً مَعَ تَحْدِيثِهِمْ

أن يأتوا ولو بسورةٍ من مثله - وهم أساطينُ اللغةِ وأربابُها؛ فلم يجدوا إلى ذلك سبيلاً:

والتاريخُ شاهدٌ عدلٌ: بأن قُرَيْشًا كانت في مركزِ الرِّعَامَةِ بين جميعِ قبائلِ العَرَبِ؛ فكانوا يصُدُّون عن رأيها، ويَرِجِعون إلى حُكْمِها، ويأخُذون عنها، ويَرِكَبون ظهورَ الإِبِلِ إليها، ويَنزِلون على قولها فيما يَغْلُو ويَنزِلُ؛ من منظومٍ ومنثورٍ، ويُدْعِنون لها بالسَّبِقِ في مضمارِ الفصاحةِ والبلاغةِ، والذكاءِ والألمعيَّةِ، والشرفِ والتُّبْلِ □

كما كانوا أحرَصَ الناسِ على إخراجِ محمَّدٍ ^، ودَخُضِ حجَّتِه، ونقضِ دينِه، والقضاءِ على الإسلامِ في مَهْدِه، ولكنَّ سَجِيَّتَهُم لم تَسْمَخْ بهذا القولِ في القسمِ المَكِّيِّ من القرآنِ □

ختامًا: نَعْلَمُ بعد كلِّ هذا: أن القرآنَ كان له سلطانٌ على نفوسِهِم إلى حدِّ خارقٍ مُدهِشٍ يَفُودُهُم بقوَّتِه إلى الإسلامِ، ويَدْفَعُ المعانِدَ منهم إذا استَمَعَ إليه: أن يسَلِّمَ لبلاغتِه، ويَهْتَرَّ لفصاحتِه، وأن يأخُذَ نَفْسَهُ بالتشاغُلِ عنه؛ مخافةً أن يؤمِنَ عن طريقِ تأثيرِه بسماعِه □